

قال - رحمه الله تعالى - : [٨٤ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم) .
ومسلم : كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا، حتى كأنما يسوي بها القداح، حتى إذا رأى أن قد عقلنا. ثم خرج يوماً، فقام حتى كاد أن يكبر، فرأى رجلاً بادياً صدره، فقال : (عباد الله، لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم) .]

هذا الحديث حديث شريف اشتمل على وعيد شديد في التساهل في تسوية الصفوف، واشتمل على هدي النبي ﷺ - في حرصه على الأمر بتسوية الصفوف والتنبيه على ذلك والتحذير من تركه وعدم القيام بحقه، يقول رضي الله عنه وأرضاه : [سمعت رسول الله ﷺ] كان النعمان رضي الله عنه - صغير السن حتى ذكر جمع من أئمة الحديث وأهل السير والتاريخ أنه لم يسمع من النبي ﷺ - إلا القليل من الأحاديث ومنها الحديث المشهور : ((إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس)) وهنا صرح ﷺ بالسماع فنعم السامع ونعم من استمع له صلوات الله وسلامه عليه.

[سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لتسون صفوفكم)] ذكر المصنف - رحمه الله - هذه الرواية ثم أعقبها برواية مسلم التي بينت سبب هذا الحديث، وحاصله: أن النبي ﷺ - كان يسوي صفوف الصحابة حتى كأنه يسوي القداح، والمراد بذلك: بيان عنايته صلوات الله وسلامه عليه بتسوية الصف فكان يقول: يا فلان تقدم ويا فلان تأخر وكان يعتني بنفسه صلوات الله وسلامه عليه بتسوية الصف، وفيه دليل على أنه ينبغي للأئمة أن ينبهوا المصلين وأن يأمرهم بما أمر به سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه من تسوية الصفوف والعناية بذلك، فقال ﷺ : [كان يسوي صفوفنا] وهذا يدل على أنه كان يفعل ذلك، ومن هنا اتتسى به الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم وأرضاهم - فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لما كثر الناس كان يأمر رجالاً بتسوية الصفوف ويوكلهم بتسوية الصفوف ولا يكبر ولا يستفتح صلاته حتى يأتيه هؤلاء الرجال ويخبروه أن الصفوف قد استوت من حرصه رضي الله عنه وأرضاه على حفظ هذه السنة والقيام بحق التسوية، ومن هنا أخذ العلماء أن من تقصير الإمام أن يسكت على وجود الخلل والإخلال بهذه السنة وهي تسوية الصفوف فقالوا: لا ينبغي للإمام أن يأتي مباشرة إلى المصلى ثم يكبر دون أن يتفقد الصفوف ومن هنا ينبغي للإمام أن يحرص على النظر، لكن إذا وجد الدليل على عقل الناس وفهم الناس وأنهم لا يحتاجون إلى تنبيه كما لو صلى بطلاب علم أو بأناس حفظ منهم المحافظة ورأى فيهم الحرص على هذه السنة فإن الأمر أخف، وهذا هو

الذي دل عليه قول النعمان -رضي الله عنه وأرضاه- : **[حتى إذا رأى أن قد عقلنا]** وهذا يدل على ما ذهب إليه بعض العلماء أنه لا ينبغي للإمام أن يزعج الناس دائماً فإذا كان هناك صف واضح وراءه ثلاثة من طلاب العلم ويعرف منهم المحافظة لا داعي أن يأمرهم بتسوية الصف مادام أنه قد غلب على ظنه أنهم مسوون للصف، وهكذا إذا نظر فوجد الصف قد استوى قالوا : لا حاجة أن يقول استووا أو يأمر بتسوية الصف؛ لأن النعمان رضي الله عنه قال: **[حتى إذا رأى أن قد عقلنا]** فقالوا : إن هذا يدل على أنه إذا عقل من وراء الإمام وحفظ هذه السنة أو كانوا اثنين وتسويتهم واضحة فلا حاجة أن يأمرهم بالتسوية، وقال بعض العلماء : يستحب له أن يأمر بالتسوية ولو كانوا قد عقلوا؛ لأن ذلك من باب التأكيد؛ لأنه قد يسوي الصف في ابتداء صلاته ويخل به في الأثناء .

قال رضي الله عنه وأرضاه : **[حتى إذا رأى أن قد عقلنا . ثم خرج يوماً حتى كاد أن يكبر]** "خرج يوماً" أي: إلى الصلاة وكان رضي الله عنه يخرج من حجرته إلى الروضة ثم بعد ذلك يدخل في مصلاه ويؤم بالناس صلوات الله وسلامه عليه فكانوا يعبرون عن دخوله بإقامة الصلاة ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام : ((إذا رأيتموني فقوموا)) لأنه كان يخرج من وراء الستر على المسجد مباشرة وتقام الصلاة، فقال رضي الله عنه : **[حتى إذا كاد أن يكبر - أي: أوشك أن يكبر - رأى رجلاً بادياً صدره]** "رأى رجلاً" قال بعض العلماء: تتبعت فلم أجد أو لم أعر على من قال أو من صرح باسم هذا الرجل وهو من المبهمات، ولكن هذا الإبهام وهذا النوع من الجهالة لا يضر؛ لأنه لا يترتب عليه كثير فائدة.

[رأى رجلاً بادياً صدره] فيه دليل على أن تسوية الصفوف في الصلاة تكون بأن تستوي الصدور ويحاذي بعضها بعضاً وأنه إذا تقدم صدر أحدهم على الآخر أن هذا يعتبر مخالفاً بالتسوية، ويستثنى من ذلك ما ذكرناه من الضيق؛ لأن المراد هنا بقوله : "بادياً صدره" أي: أنه متقدم عن الصف فبدأ صدره وهذا من طبيعة الحال أنه إذا تقدم ظهر منه التقدم في أعلى البدن وأسفله لكنه في أعلى البدن أظهر وهو الذي عبر عنه بقوله : "بادياً صدره".

قال عليه الصلاة والسلام : **[(عباد الله، لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم)]** تنبيه وتحذير من رسول الأمة ﷺ - اشتمل على أدب رفيع وخلق جليل في توجيه الناس وإرشادهم ودلالتهم على الخير وتحذيرهم من البلاء والشر فبأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه كان أكمل الناس أدباً وأطيبهم ذكراً وأحسنهم خلقاً فلم يقل : يا فلان وإنما قال : "عباد الله" قالوا : لم يسم الرجل ولم يشهر بالرجل ولم يفضحه وإنما جاء بأسلوب عام كما هو خلقه صلوات الله وسلامه عليه في دعوته ما بال أقوام فلم يصرح للرجل باسمه، وإنما قال : **[(عباد الله، لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم)]** وفيه دليل على أنه ربما يأتي الحديث

بأسلوب عام وباللفظ العام ويقصد به الخاص المخالف كما في حديثنا هنا وإن كان صالحاً لجميع الأمة من حيث التشريع، أي: أنه تحذير لجميع الأمة وإن كان قد ورد لسبب خاص .

[(عباد الله، لتسون صفوفكم)] قوله : "عباد الله" فيه دليل على مشروعية نداء الناس في الوعظ وفي البشارة والندارة بعباد الله، أيها الناس ونحو ذلك من الجمل حتى يكون أبلغ في إنصاتهم وانتباههم لما يقصد من توجيههم ودلائتهم على الخير أو نهيهم عن الشر .

[(عباد الله، لتسون صفوفكم)] جاء بهذا الأسلوب المبني على التوكيد باللام والنون "لتسون" هذا التوكيد يقول العلماء : إن التوكيد يكون في الأمور العظيمة وكأن النبي ﷺ - قصد من هذا أن يحذر من الإخلال بهذه السنة ولذلك قال بعض العلماء : إن هذا التحذير الذي اشتمل عليه هذا الحديث يدل على وجوب تسوية الصفوف؛ لأن من القواعد المعتمدة في الأصول: أن ورود الوعيد على ترك الشيء يدل على وجوبه، فلما رتب عليه الصلاة والسلام الوعيد على ترك التسوية والإخلال بها دل على وجوبها .

[(عباد الله، لتسون صفوفكم)] والمراد بقوله : "صفوفكم" أي: في حال الصلاة وهذا شامل لجميع أحوال الصلاة سواءً كان ذلك حال القيام أو حال الجلوس .

[(لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم)] قوله عليه الصلاة والسلام : "أو" وهذا للتنويع فإما أن تحصل التسوية وتؤمن العقوبة وإما أن لا تحصل التسوية ويقع الناس في العقوبة، فهو أحد أمرين : إما امتثال للشرع يسلم به الإنسان من هذا البلاء الذي أخبر عنه نبي الأمة -صلوات الله وسلامه عليه- وإما أن يخل الإنسان -والعياذ بالله- بذلك فتصيبه العقوبة، قال بعض العلماء : في هذا دليل على أنه إذا وقع المنكر والخطأ على مرأى من الناس ومسمع منهم فلم ينكروه مع قدرتهم على ذلك أنه تكون العقوبة للجميع، ولذلك لما كان هذا الرجل قد بدا صدره وهم ينظرون إليه وهم مأمورون بتسوية الصف فكان ينبغي أن يأمره أن يتأخر وأن ينهوه عن التقدم فلذلك خاطب الجميع وقال : [(لتسون صفوفكم، أو ليخالفن الله بين وجوهكم)] .

قوله : [(أو ليخالفن الله بين وجوهكم)] المخالفة بين الوجوه فيها وجوه :

قال بعض العلماء : إنه إذا تقدم المسلم على أخيه المسلم في الصف فإن هذا يوجب حنق المتأخر على المتقدم، فإذا وقف الإنسان في الصف ووجد الذي يجواره يتقدم عليه فإن التقدم علو في الرتبة وانتقاص لمن ورائه ولذلك قال العلماء : من الأدب للإمام أنه إذا فرغ من الأذكار بعد الصلاة أن يقوم ولا يجلس في مكانه لأنه متقدم على الناس متميز عليهم وفيه منقصة لهم ولذلك يبقى بقدر الحاجة كما كان هدي رسول الله -

ﷺ، فإذا تقدم المصلي على من بجواره غاظه وحنق عليه وإذا غضب الإنسان وتغيرت نفسه على من معه تغير وجهه وظهر ذلك في وجهه، فقالوا : [(أو ليخالفن الله بين وجوهكم)] هذا وجه .
وقال بعض العلماء : إنه إذا لم تُسَوِّ الصفوف في الصلاة فإن الله يتلي أصحاب الإخلال ببلاء منه - نسأل الله السلامة والعافية - فتختلف وجوههم، والمراد بالوجوه الوجهة وهي المذهب والطريقة التي يسير عليها الإنسان فيختلف الناس ويكثر بينهم الخلاف ويلبسهم الله بالفتن - نسأل الله السلامة والعافية - فقالوا : إن قوله : [(أو ليخالفن الله بين وجوهكم)] إنها عقوبة تترتب على إضاعة هذا الأمر وهذه السنة في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام وهو الصلاة، وقال بعض العلماء : إنها عقوبة في الوجه وأن الله - ﷻ - يعاقب من كان دأبه وشأنه التساهل في تسوية الصف فيخالف بين وجهه وينزل العقوبة به كما قال ﷺ : ((أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار)) نسأل الله السلامة والعافية، وكل هذه الأقوال محتملة.

وعلى المسلم أن يتقي هذا الأمر، وقد جاء في بعض الروايات : ((أو ليخالفن الله بين قلوبكم)) والمخالفة بين القلوب لها أثر عظيم في فساد أحوال الناس فإن الناس إذا ائتمت قلوبهم أصابتهم الرحمة وكان في ائتلاف القلوب واجتماعها الخير الكثير، و لكن إذا تفرقت القلوب وتبددت وتشتتت كان الضياع وكما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنزَعُوا فَنفُسَهُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ فقرن الله الفشل بتنازع الناس واختلاف قلوب بعضهم على بعض، ولذلك عده الله من العقوبة التي ينزلها وعده من البلاء الذي يصيب به الأمة عند فسادها كما قال تعالى : ﴿ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ .

قوله عليه الصلاة والسلام : [(أو ليخالفن الله بين وجوهكم)] أو في الرواية الأخرى : ((أو ليخالفن الله بين قلوبكم)) إن قيل المراد به في الدنيا فلا إشكال على الخلاف الذي ذكرناه، وإن قيل إنه عقوبة في الآخرة أن الله - ﷻ - يعاقب بها من تساهل في تسوية الصفوف وكان من دأبه ذلك فإنه إخبار عن أمر من الغيب أطلع الله نبيه - ﷺ - عليه.